# بين الكتب:

## مقالات للأستاذ:

## محمد ولد إمام

منشورة في جريدة الشعب وفي كتابه

"كشكول الحياة"

أحببتُ الكتب منذ الصبا فصرت ممن يصفهم الإنكليز بعبارة bookworm أتذكر ولعي بها وندرتَها هنا وأنني طولَ إقامتي في مصر ما انتقلتُ من شقة مؤجرة إلى أخرى إلا وخلفت فيها كتباً لم أستطع حملَها.. فأفارقها فراقَ وامق.. فأكون كما قيل إنه كانت لأبي الحسن الفالي الأديب اللغوي نسخة في غاية الجودة من كتاب الجمهرة لابن دريد دعته الحاجة إلى بيعها فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً فلما تصفحَها وجد بها هذه الأبيات بخط بائعها:

أنِستُ بها عشرينَ حولاً وبعتُها*** وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها **** ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ *** صغارٍ عليهم تستهلُّ شؤوني

فقلت ولم أملك سوابق عبرةٍ **** مقالةَ مكويِّ الفؤاد حزينِ

وقد تُخرج الحاجات يا أم مالك. ***. كرائمَ من ربٍ بهن ضنين.

فرد الشريفُ الكتابَ إليه ووهبه المال!

وحتى الآن ما زلت لا أستبدل الكتاب الورقي بأي جليس.. حتى أنني أحن أحياناً إلى رائحة الورق.. وطقوس القراءة في أوقات نسرقها من الحياة لأنفسنا..

وقد قلت سابقاً:

أَحِنُّ إلى بوحٍ سُحيراً ولَقْيَةٍ *** إليها مسافاتُ الحنينِ تُجابُ

ومِمَّا يَسُرُّ النفسَ مَجْلِسُ خلْوَةٍ**نَــديمايَ، شايٌ جيِّدٌ وكِتابُ.

وسأتناول في هذه الصفحات بعضا من الكتب، خصوصا الروايات، التي أثرت فيّ أو أعجبتني، مع تلخيص لأهم ما ورد فيها، لعلها تكون حافزا للمطالعة والرجوع للكتب في عالمنا العربي الذي نسي عادة القراءة للمتعة، فأصبح يقرأ فقط ما تفرضه عليه الدراسة أو العمل.

## ذكريات من معارض الكتاب:

مواسم معرض الكتاب هي مواسم حماس وترقب جميل للأحدث والأندر من الكتب، ولكنها أحيانا تأتي وليس في الجيب ما يُشبع نهم العين والفكر إلى مطالعة الجديد والمختلف، وسنواتي بالقاهرة كنت أحرص على حضور معرض الكتاب حتى ولو لم يكن عندي ما أشتري به شيئاً، فهناك خيام وندوات وشعراء ينشدون وحفلات توقيع ونقاش الإصدارات الجديدة وغيرها من الأنشطة المصاحِبة، كما أن مجرد تصفح العناوين متعة بالنسبة لي، ويُعينني على اتخاذ قرار الشراء لاحقاً عندما تسمح الظروف، إنه موسم ثقافي بطله الكتاب وأي بطل!

لكنني ما زلت لا أفهم القيمة التسويقية لبعض التصدير أو الإهداء (غير الشخصي طبعا) في مقدمات أو على أغلفة بعض الكتب خصوصاً تلك التي تحمل عبارات مثل "قالوا عن الكتاب أو عن الكاتب" وكأن القارئ غيرُ راشد ويحتاج من يشرح له لماذا هذا الكتاب الذي اشتراه ويقرأه هو كتاب مهم وصاحبه من شأنه كذا وكذا.. إلخ.

هذه الشهادات لا أراها تنفع بل ربما العكس، فلندع الكتاب يتحدث عن نفسه، ولا داعي لآراء وشهادات الكتاب الآخرين ومراجعي الكتب book reviewers وقد أصبحت هذه مهنةً على غرار تقييم ومراجعة الأجهزة الإلكترونية الجديدة وكل ما ينزل السوق..

بالإضافة إلى أن كثيراً من الكتب التي حظيت بتقريظ وثناء الكُتّاب والمراجعين لم تكن على مستوى التطلعات، كما أن الكتب التي تعتمد على التذوق الفني والأدبي بالخصوص تخضع للذوق والحِسّ الشخصي وهو ما يختلف من شخص لآخر، فلا مجال لتشارك تجربة قراءتها مع الآخرين لأن كلنا يفهم ويتذوق هذا الفن والأدب بصورة خاصة به وتتدخل في هذه العملية عوامل كثيرة مثل التنشئة، المستوى العلمي التجارب السابقة إلخ..

لذلك أرى ألا مكان للمقدمة في الأعمال الأدبية، سواءً كانت بقلم الكاتب أو الأديب نفسِه، أو بقلم آخر.

## مع الرسالة القشيرية:

منذ سنوات قمت بنشر رحلتي مع الرسالة القشيرية في التصوف، وهو كتاب أنصح به جداً فقد أثر فيّ شخصياً تأثيراً كبيرا.

وقد حوى هذا الكتاب من اللطائف ما جعلني أطرق تفكّرًا وتأمّلًا.. في العديد من الاقتباسات والوقفات.. فهو كتاب لطيف وعميق.

أثراني النقاش حول الكتاب.. وأضاف للرسالة أبعادًا أخرى، وإسقاطات واقعيّة نحتاجها.

فهو فعلا يستحق المطالعة حيث يرى المؤلف أنه في عصره بدأ الشيوخ الذين يتبعون طريق التصوف مع العلم الشرعي بالاندراس وبدأ الجهل والاستخفاف بأوامر الشريعة وقلة المبالاة بالمحرمات يظهر على متبعي هذه الطرق يقول القشيري:

"ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه

عتب أو لوم، وأنهم لو كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائي عنهم سواهم فيما تصرفوا بل صُرفوا"

وبسبب ذلك كله وخوفا من إنكار هذه الطريقة برمتها لأجل ما يقترفه هؤلاء المخالفون، وخوفا من ازدياد التمادي والاغترار والشطط وإشفاقه "على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده، وعلى هذا النحو سار سلفه"، انبرى صاحبنا القشيري إلى تأليف هذا الكتاب، يجمع فيه أقوال شيوخ هذه الطريقة الأوائل والثقات منهم وتعاريفهم ومصطلحاتهم وأحوالهم. فكانت هذه الرسالة القشيرية من أشهر أمهات الكتب في علم التصوف.

الكتاب مقسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول يتناول شيوخ الطريقة وأهم أعلامها، وهي بداية جيدة فإذا أردت علماً فعليك أن تنظر ممن تأخذه أولا، كما أن أسماءهم ستتردد على القارئ إلى آخر صفحة فمعرفتهم ضرورية.

الفصل الثاني في تبيان وتفسير أهم المصطلحات المتداولة بين شيوخ الطريقة، ليس بالصعب ولا بالغريب.

الفصل الثالث: هو عبارة عن أبواب تتناول لب التصوف (الرجاء، التوكل، الجوع، الصبر، المراقبة، اليقين .... إلى تتمته)

وحيث إن حقيقة التصوف بأنه (باطني) فما كان من الممكن التعرف عليه إلا بما تكرم به شيوخ الطريقة ونطقوا به.

وهنا أريد أن أنبه إلى شيئين:

١-قد لا يصدق البعض بعض ما يكتب في الكتاب عن بعض الأولياء وما يحدث لهم من قصص، لكن كيف ستنفيه بلا دليل وحجة؟ إذا علمت أن الله يتولى أولياءه! أنا لا أتوقع من نفسي التصديق الأعمى كما أنني لا أحب النفي الأعمى.

٢- جملة وردت في الكتاب أراها جميلة جداً (كان ثمة تصوف ولا اسم، واليوم اسم ولا تصوف).

وبالرغم من أن التصوف غالبا ما يكون ملازما للتدين، لكنه يحافظ على استقلالية تميزه عن رجل الدين والفيلسوف العقلي أيضا. مدار الصوفي هو الخَلق وراحتهم وحبهم، بخلاف مدار رجل الدين، الذي غالبا لا يحب غير من يدور في فلكه ويخضع لقراراته، إلا إذا خرج من حكم الطائفة محلِّقاً في فضاء العرفان أو متأثرا بفلسفة إنسانية يقوم بتأويل تدينه من خلالها.

المتصوف يتسامح مع الناس ويشدد على نفسه، وفي رواية صوفية لأبي علي الدقاق: (أن شابا أخرجوه من محلةٍ لفساده، فرأى القطب أمه تبكي، فقام واستشفع له عندهم لخاطرها. وطاف بعد أيام ووجدها تبكي. فسألها: هل أخرجوا ابنك لفساده من محلةٍ ما؟ قالت: لقد مات. فقال: وما حاله وقتها؟ قالت: قال لي لا تخبري الجيران فإنهم يشمتون بي ولا يحضرون جنازتي، وأعطاني خاتما كتب عليه "بسم الله" لأدفنه معه. فنفذت الوصية. وعندما همت بالبكاء على القبر سمعت هاتفا منه يقول: اذهبي يا أمي فإني مع رب كريم).

ورأى محمد الثقفي في منامه رجلاً فيه من أحوال النساء -مخنّث- احتقره الناس، فكان يقول: (غفر الله لي باحتقار الناس إياي).

أما حمدون القصار فكان يقول: (إذا رأيت سكراناً فتمايل لكيلا يبغي الناس عليه - أي لكيلا يروا أنفسهم أفضل منه فيؤذونه بكلام أو فعل -). نستشف من الأمثلة السالفة سعة صدر الصوفي مقابل ضيقه في المفهوم التقليدي للمتدين، فنادراً ما نرى أحدهم لا يحتقر الاثنين.

يضاف في رصيدهم أيضا التسامح الديني، فالكتاب خالٍ من مفاهيم التكفير، بل على العكس، في رواية صوفية عن إبراهيم الخليل: (أنه لقي مجوسيا ولم

يطعمه، فسمع ربه يقول له في المنام: إنّا أطعمناه على مجوسيته سبعين سنة وتركنا رزقه عليك يوما واحداً فلم تطعمه!).

يرى الصوفي أن احتقار الخلق من أعظم الشرور، خصوصا مساكينهم، لأنه يلهيك بِشَرِّهم عن شر نفسك. وفي سبيل المساكين قاطعوا الدولة وأغنياءها وجيرانهم، لأنهم من جملة الأغيار الذين بسببهم يتألم الخلق ويجوعون، فكانت امرأة تخيط على مشاعل بيوت السلطان فقال لها أحدهم: لا تخيطي على مشاعل بيوتهم.

وجاء خياط لعبد الله بن المبارك يسأله أنه اشترى من أحدهم خيوطا وإبرة وخاط ثوبا للسلطان فهل يعتبر من أعوان الظلَمة؟ فقال: إنما أنت من جملة الظلَمة أما أعوان الظلمة فهم من يبيعونك الخيط والإبرة.

نستطيع أن نقول إن المفارقة بين رجل الدين والمتصوف أن الأول يكتسب وجاهته من كلامه وسلطته الروحية وربما من سلطته السياسية، أو بالاشتراك بينهما. أما المتصوف فلا سلطة له ولا جاه، راحته في صمته، وقناعته من زهده، قريب من الخلق في العلانية، بعيد عنهم في السر، يسعى لإطعامهم ويرفعهم من الدونية إلى السواء، كثير الترحال فكرا وجسما، لكن حديث سره غالب على حديث لسانه.

## عزاءات الفلسفة:

قرأتُ مؤخرا كتابين بديعين للمفكر والفيلسوف المعاصر Alain de Botton الأول تحت عنوان: consolations of philosophy، والثاني بعنوان: status anxiety..

وقد تناول في الكتاب الأول بعض الفلاسفة الذين تأثر بهم هو شخصيا، والذين تناولوا الشأن الشخصي في التعامل مع الناس ومع الحياة الشخصية في فلسفاتهم، فأفرد لكل فيلسوف موضوعا معينا، مثلا تحدث عن المشاكل المادية والاستهلاكية مع الفيلسوف أبيقور، وتحدث عن مشاكل العلاقات مع الفيلسوف الألماني شوبنهاور..

وأعتقد أن من أجمل ما في هذا الكتاب هو أنه ينزل بالفكر الفلسفي إلى حياة الناس اليومية ومحاولة حل المشاكل أو فهمها على الأقل، فقد عانى من هذه الصعوبات كل من عاش حتى الآن وفهمُها مهم جدا للتخفيف من آثارها..

وباختصار فإن من أهم الأفكار حسب رأيي في هذا الكتاب هي محاولة الاستفادة من هؤلاء المفكرين الكبار في مواجهة صعوبات الحياة مثلا استخدم بوتون

مثال وفلسفة سقراط وحياته لتوضيح أن حكم الآخرين علينا أو على تصرفاتنا يجب ألا يكون له تأثير حقيقي على كيفية حكمنا على أنفسنا. هذا لا يعني أننا يجب أن نعتبر أنفسنا متفوقين من خلال كوننا أقلية. لا، الرسالة الحقيقية هي أن الأرقام التي تدعم أي حجة أو وجهة نظر أخلاقية لا علاقة لها بالقوة الحقيقية لتلك الحجة. العقل فقط هو الذي ينبغي أن يرشدنا في أحكامنا على أنفسنا والآخرين. وعبر الكراهية الموجهة بشكل غير عادل نحو هذا الفيلسوف البريء، ندرك مدى الأذى الذي نواجهه نحن أنفسُنا على أيدي أولئك الذين إما أنهم غير قادرين أو غير راغبين في معاملتنا بالقسط والعدل. لكن إذا أخبرنا العقل أننا على صواب، فيجب علينا التمسك بذلك وعدم مراعاة أي شيء آخر كما فعل سقراط الحكيم.

**عدم وجود ما يكفي من المال**

ما هي الثروة؟ هل هي مجرد ثروة مادية أم أنها هي كل ما يوفر لنا سعادة حقيقية؟ كانت هذه هي الأسئلة التي تناول الفيلسوف أبيقور. كانت إجابته أنه مثلما أننا غير قادرين على تمييز ما هو جيد لجسمنا المادي، وسنكون سعداء بالطعام غير الصحي إلى حد المرض (كما يفعل الكثير منا). لذلك نحن لسنا قادرين على الحكم على ما هو جيد حقا لأرواحنا، لحياتنا.

أريد أن أؤكد هذه النقطة - إذا تُركنا لأنفسنا ولأذواقنا الغريزية، فلن نجد أي سبب للامتناع عن فعل أي شيء نراه ممتعا وهذا طبعا سيؤدي للجريمة والفوضى وغير ذلك.

يقول أبيقور إننا عندما نتمسك بالمثل وبكل ما نملك من أمر ممتع، نخطئ في الحياة. لكن التأمل العميق فقط هو الذي يمكن أن يُظهر لنا أن أمراً ما يسيء لصحتنا الروحية أو الجسدية.

لذلك يقول إن السرور هو الهدف النهائي للحياة - لكن ما يمنحك المتعة الحقيقية لا يمكن العثور عليه إلا من خلال التفكير العميق. إذن ما الذي يجب أن نكرس كل طاقاتنا له إذا كنا نريد حياة سعيدة؟

يجب أن نجد الصداقة، والرفقة الجيدة - الارتباط مع أشخاص يدركون طبيعتنا الحقيقية بكل عيوبنا هذا ما نحتاج إليه حقًا. في الواقع، كل سعينا المحموم وراء المال والقوة هو مجرد مظهر من مظاهر حاجتنا إلى الاحترام والاستماع إلى إخواننا. قد نسعى للحصول على ثروة دون سبب سوى ضمان احترام واهتمام الأشخاص الذين ينظرون إلينا بطريقة مباشرة. ولكن هل نحن بحاجة إلى المال لحملهم على احترامنا؟ ألا يقدر الصديق الحقيقي كل كلمة لك ويحترمك حتى لو كنت مفلساً؟

ثاني أهم مكونات السعادة حسب هذا الحكيم هو الحرية - حرية أن نكون أنفسنا. هذا يعود في النهاية إلى أن نكون مع أشخاص يقبلوننا كما نحن.

وقدم أبيقور وأصدقاؤه ابتكاراً جذريا. من أجل عدم العمل لصالح أشخاص لا يحبونهم والرضوخ لنزواتهم المهينة، فقد نأوا بأنفسهم عن العمل في العالم التجاري بأثينا ('يجب أن نحرر أنفسنا من سجن الشؤون والسياسات اليومية')، فقبلوا طريقة حياة أبسط في مقابل الاستقلال. ستكون لديهم أموال أقل ولكن لن يضطروا مرة أخرى إلى اتباع أوامر الرؤساء البغضاء.

لم تؤثر البساطة على إحساس الأصدقاء بالمكانة لأنهم، عن طريق الابتعاد عن قيم أثينا، توقفوا عن الحكم على أنفسهم على أساس مادي. ليست هناك حاجة لأن تكون محرَجًا من الجدران العارية، ولا فائدة من الرياء بالذهب (الهاتف أو السيارة) بين مجموعة من الأصدقاء.

لذلك، فقائمة السعادة أو متطلباتها حسب أبيقور هي:

1. كوخ.
2. الأصدقاء.
3. تجنب الرؤساء، المتغطرسين.
4. الفكر.

5. الفن.

قد يكون من الصعب تحقيق السعادة فعلا. ولكن العقبات ليست مالية في المقام الأول.

## الإحباط

كل الإحباط ينشأ من وجهة نظر خاطئة نحو العالم حسب الفيلسوف سينيكا. نشعر بالإحباط لأننا نتوقع أن يتصرف العالم بطريقة معينة ومن ثم يتبين لنا أن الواقع مختلف. ينصحنا الفيلسوف العظيم الرواقي (stoic) بأن نكون مدركين دائمًا أن أسوأ سيناريو ممكن دائمًا وأن نكون مستعدين له، وعندما يحدث ذلك، نكون مستعدين له ولن ننجرف إلى الغضب أو الصدمة أو القلق أو اليأس، وكل هذه هي علامات لعقل غير مستعد ولم يكن متسقا مع الواقع. صحح وجهة نظرك للعالم لتقبل حقيقة أن الواقع قاسٍ وبالتالي تجد العزاء من هذه الإحباطات الشائعة.

هذا لا يعني أنه يجب عليك قبول كل شيء، فقد تكافح بشدة لتفادي المحن والمصائب ولكن عليك فقط أن تكون مدركًا لإمكانية حدوثها حتى لا تكون فريسة للغضب والحزن والإحباطات الأخرى.

الكتاب الثاني لم يعجبني كثيرا في معظم الأحيان. ومع ذلك، مثل القراء الآخرين، قرأته رغم ما لدي من مشاكل معه.

يمكن تلخيص الكتاب على النحو التالي: نحن جميعًا قلقون بشأن إحساسنا بوضعنا أو رتبتنا في العالم. مشكلة اليوم هي المساواة. لم نعد نعتقد أن الأشخاص الأكثر سوءًا هم "غير محظوظين"، لأن هذا كان المصطلح القديم بالنسبة لهم. بدلاً من ذلك، فهم الآن "فاشلون". هذا خطأهم. لذلك نحن نخشى الفشل أكثر من أي وقت مضى، لأنه خطأنا.

يحدد بوتون خمسة أسباب للقلق حول المكانة (الإحساس بالغبطة والتبجح والتوقع والجدارة والاعتماد) ويوفر ما يعتقد أنه خمسة علاجات للأمراض (الفلسفة والفن والسياسة والدين و "البوهيمية").

وكلام المؤلف عن الدين كان غير صحيح بتاتا حسب رأيي ولكن مع ذلك كان كتابا يلقي الضوء على مشكلة كبيرة في عالمنا.. وإن كان دون كتابه الأول في المستوى حسب تقييمي الشخصي.

ومن المهم أن ندرك أن مطالعاتنا يجب أن تكون واعية، أي أن نقرأ بتمعن وبروح نقدية أيضا ألا نبتلع أي شيء يُلقى لنا.. بل نتفحصه وننقده، وليس

علينا أن نترك الكتاب كاملا أو نأخذه كاملا بل نأخذ ما ينفعنا أو يفيدنا ونترك الباقي.

## الأيام لطه حسين:

أول كتاب أقرأه لعميد الأدب العربي طه حسين كان ترجمته لرواية فولتير "القَدَر" أو la destinée بالفرنسية.

وكانت لغة الدكتور جزلة ولكنها أيضا قديمة التراكيب، فتجد كثيرا من عبارات مثل موغل في كذا.. لكن الرواية جميلة وشرقية الهوى بامتياز.. قرأت له بعد ذلك جنة الشوك وحديث الأربعاء ومع المتنبي.. لكنني هنا سأقف مع كتابه الأيام.. فما زلت أذكر ذلك "الفتى" كما يدعو نفسه وأتمسّك به متعلّقا بجوّه وأحاديثه وحكاياته ونظرته إلى الدنيا التي لم يعرف هيئتها ولا ألوانها ولا أوصافها، قراءته متعة حقيقيّة حتى كأنّك رفيقه في الكتّاب أو الأزهر أو في مكاتب الجريدة أو في مقاعد الجامعة وصولا إلى باريس... لا يبارحك سؤال طيلة صفحات الكتاب: كيف لمن ولد ضريرا لا يعرف معنى الضوء من العتمة ولا الأسود من الأبيض ولا الربيع من الصيف، كيف ينظر

وأيّ قيد وسجن ووحدة هي ذاتُه، كيف لرهين هذا المحبس أن يصف لنا الدنيا ويسكننا ويرينا ذكرياته؟

هذا رجلٌ يستحقّ أن تحترمه وتكبره وتنحني لحلمه وجرأته وجهده ليعيش فوق الأرض لا خلف العمى.. شقّ من خلال العتمة دربا لم يطمح له المبصرون القادرون المالكون جماع أمرهم، مهما اختلفنا معه أو صدمنا شيء من آرائه أو حتى لو اعتبرنا شيئا من نظراته في الشعر أو الدين خطأ بعيدا عمّا نرضاه ونألفه، فلا نملك - ولا يجوز لنا- سوى هذا الاحترام والإكبار لهذه القامة الباسقة.

إنها رواية في المقام الأول عن العلم، قصة حياة عالم بل علامة، تتحدث عن النفس التواقة للعلم والترقي وما تعانيه في الحياة من كدح وشقاء وعناء، صارعته الظروف السيئة والآفة في عينيه والفقر، بل صارعته نفسه وكرامته وجرأته.

لقد كان رجلا وحيداً يحارب في أكثر من ميدان، رجلاً يدين بالفضل للكثيرين ولا ينكر، ولم يُنسه ما وصل إليه من علو في المقام وتأثير في الواقع، ما عاناه ومَن يدين لهم بالفضل، إنها رواية لا تتحدث عن قصة حياة شخص بل قصة حياة أمة وحقبة من التاريخ عانت من الصراعات السياسية والراديكالية،

والريف والشعب المعزول عن كل هذا وما فيه من خرافات وجهل وتخلف أودى بعيني هذا الرجل، ثم تنتقل لتتحدث عن الحياة في ربوع الأزهر بعد أن أرانا العلم في ربوع القرية البسيطة، وما أروع الوصف والتوضيح من رجل تتوق نفسه للعالَم بأشكاله وألوانه.

وهنا يأتي ذكر الشيخ الشنقيطي، الذي كانت له حلقة في الجامع الأزهر.. الشيخ **محمد محمود** ولد التلاميذ رحمه الله ثم نسافر مع صاحبنا إلى أوروبا ونرى الفارق في تقدير العلم وصعوبة تحصيله وقصة كفاحه في تعلم اللغات وفي سبقه للعديد من الرتب والإنجازات التي لم يسبقه إليها غيره، بعد أن كنا رأيناه أصلاً شاهداً على بدايات عصر الجامعة في مصر وأعطانا صورة عن تلك البدايات ونجاور في قصته شخصيات بارزة ومؤثرة في التاريخ المعاصر، بل وفي التاريخ القديم حيث تتوازي قصته مع أبي العلاء وما تؤول إليه حياته في النهاية من صدام مع البلاط الحاكم.

كل هذا في لغة طه حسين الشعرية البليغة المتمكنة الرائعة الرقيقة التي تفطر القلوب في وصف لحظات الألم والتي ترتقي بالنفس لسموها ورقيها.

## سجن العُمر

سجن العمر هو البدايات، حيث توفيق الحكيم طفلاً وصبياً وشاباً، وزهرة العمر، توفيق الحكيم الرجل الذي يطلب الدكتوراه في باريس.

هنا كان الحكيم يتحدّث مع نفسه، أثناء حكايته عن أبيه وأمّه، والظروف التي أحاطت به وبتعليمه، وبانتقاله من بلدة لأخرى ومن بيت لآخر. ويفرد لطباع الأب والأم كثيراً، ظنّاً منّه أنّه استقى منهما طباعه التي سُجن بها. كان صريحاً بصورة كبيرة، وحكى في سلاسة وإمتاع عن تفاصيل تكوينه، وما أحاط به وأثّر عليه، ودراسته للحقوق، وكرهه للرياضيات (وهو شيء أشاركه فيه وربما أزيد)، وبطء فهمه، وكسله، وحبّه لفن المسرح، ومساعيه من أجل التفرّغ له.

من الفصول المؤثرة، مشهد وفاة والده، حيث حكاه بطريقة غاية في التأّثر.

"الإنسان حر في الفكر، سجين في الطبع" "زهرة عمرنا هي الفكر، وسجن عمرنا الطبع"

هكذا لخص توفيق الحكيم سيرته الذاتية الثانية "سجن العمر" عن الطبع، والتي كتب قبلها "زهرة العمر" عن تكوينه الفكري والثقافي ولهذا الترتيب مدلول واضح.

الطبع الذي وصفه الحكيم بالثقوب التي تنسل بها الأيام من تحت أيدينا، تجبرنا على ارتداء عباءة الوالدين. ثم يطرح قضية أخرى، هل موهبة البعض سببها

رغبة مكبوتة عند الآباء لم تسمح لهم ظروفهم بتحقيقها؟ وهل لو أفرغ الآباء مواهبهم لحرموا منها أبناءهم؟ وهل انصراف أبناء مشاهير الأدب عن الأدب دليل على ذلك؟

جذبني حديثه المطول عن أصوله وتفاصيل جذوره العائلية على الرغم من طبعه الذي وصفه بالانطوائي، نجد وصفه لعائلة والدته وأصولها وجدته وبناتها وأزواج بناتها، ووصفه لعائلة والده وجده والأبناء وزوجاته وأبناء أبنائهم، تفاصيل كثيرة قد تبدو غير مهمة لكنها مؤثرة في النهاية في تكوين طباع صاحب السيرة.

## العراب، الدكتور أحمد خالد توفيق:

تعرفت إلى هذا الكاتب، الطريف خفيف الظل في سخرية لاذعة رغم أنه يكتب أدب الرعب، وأنا في الجامعة، ورغم شكوكي حول مناسبته لي كمحتوى مختصر وشكي العميق في أن سلسلة للجيب تستحق القراءة إلا أنني بعد قراءة أول عدد من سلسلة ما وراء الطبية أعجبتني وصرت أقتنيها أولا بأول وما زالت إلى الآن في مكتبتي الشخصية، وبعدها سلسلة "سافاري" و"فانتازيا" إضافة إلى المقالات التي كان يكتب في مجلات مثل مجلة الشباب و"كلمتنا" وغيرها، إن قلم الدكتور أحمد خالد توفيق قلم أنيق وجميل، واستطراداته العلمية

مفيدة وسخريته عميقة، وهذه السلاسل مفيدة جدا للمبتدئين في المطالعة لأنها ستجذبهم لإكمالها وعندما ينتهون تكون القراءة قد أصبحت عادةً عندهم..
رحم الله الدكتور فقد جعل الشباب يقرأون كما تمنى يوما أن يُكتب على قبره، سلام عليك يا دكتور يا طيب، (وحتى تحترق النجوم..)

## حصاد الهشيم:

هذا هو أول كتاب أقرأه للمازني، وهو أحد كتبه التي نستطيع أن نطلق عليها الكتب النقدية، فهو قد جنّد قلمه لشرح بعض أفكاره في مختلف اتجاهات الأدب، من نثر وشعر ومسرح بالإضافة إلى وجهة نظره في بعض القضايا الحياتية المعاصرة له.
كلامه عن شكسبير والمتنبي وابن الرومي بديع، وعرضه لوجهات نظر أجنبية دليل على سعة اطلاع ومعرفة.
مقدمة الكتاب في غاية الظرف، فهو يبين للقارئ بوجهة نظر عملية أنه لن يتكلف شيئا من شراء الكتاب، بالعكس فهو المتضرر الأكبر.

لغة الكتاب دسمة للغاية، لغة كتابية محترفة، بناء محكم خالطه بعض الملل والتعقيد.

تطرق لشكسبير، لألكسندر ديماس ولعمر الخيام ومقاربته الغربية مع تلك العربية، ثم انتقل إلى المتنبي وختم بابن الرومي. كما كانت له وقفات شعرية متعددة، وكذلك سرد لأعمال روائية مع إبداء الرأي فيها لاسيما رواية "غادة الكاميليا".

الجانب اللافت في "حصاد الهشيم" هو توجه الكاتب نحو الدفاع عن العديد من الشعراء والأدباء ونقد بعضهم الآخر بأسلوب مغدق بالسرد لا يخلو في بعض الأحيان من الثرثرة.

تمر بنا مقاطع نستلذ بقراءتها، ومقاطع أخرى نتمنى لو تنتهي لشدة الاستفاضة في ذكر الأمثال وإبداء الأوجه المتعددة من مسألة واحدة قد يكون له رأي خاص فيها.

ولا يخفى على أحد في دفاعاته تقرّبُه من العقّاد عبر توثيق أفكاره بدراسات وكتابات قام بها هذا الأخير.

"حصاد الهشيم" قد يصنّف عملاً أدبيًا من ناحية إبراز بعض الأعمال العربية والغربية من روايات ومسرحيات وأشعار والإضاءة عليها من جانب قلما يكون حياديًا فهو إما مادح وإما ناقد وإما ناقم.

## كتاب المتنبي لشاكر:

ما أظن أني رأيت قبل ذلك من يرتشف رحيق القوافي ثم يخرج لنا بالعسل مثلما فعل محمود شاكر في هذا الكتاب..

أهم ما تخرج به من الكتاب هو (المنهج) وفكرة التذوق، وكيفية قراءة الشاعر ودراسته وتشريحه وبيان الصدق من الكذب في تاريخه من خلال نتاجه الأدبي..

غاص الأستاذ شاكر في نفس المتنبي وخرج بآراء معتبرة في قضايا مهمة مثل نسبه، وقضية النبوة، وحبه لخولة أخت سيف الدولة، وحقيقة مذهبه في المدح وغير ذلك..

الطبعة التي طالعتُ من الكتاب تبدأ بكتابٍ آخر هو (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا).. وبعد ذلك مقدمة كتاب المتنبي...ثم كتاب المتنبي كما صدر عن المقتطف في عام 1937، ثم مجموعة مقالات نشرها الأستاذ شاكر في الرسالة بعنوان (بيني وبين طه) يبين فيها ما سماه هو "سَطْوَ طه حسين على بعض أفكاره" وكذلك أخطاؤه في تفسير أبيات المتنبي وعرض حياته.. ثم سجال بينه وبين

الأستاذ سعيد الأفغاني في قضية نبوة المتنبي، ثم عرض لأربع تراجم للمتنبي من أمهات الكتب.

لست بالضرورة أتفق مع كل ما ذهب إليه محمود شاكر...لكنني خرجت من هذا الكتاب بمنهج في التذوق، ومنهج في الرد والمحاججة العلمية.

وفي الكتاب، "المتنبي.. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" بالإضافة إلى ما قرأته من كتبه (أباطيل وأسمار، نمط صعب ونمط مخيف، وقضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام) هذه الكتب جميعها تمثل سيرة شاكر كشخص عانى من التصادم الحضاري الذي أنتجه الاحتلال الفكري (التبشير الثقافي) بمساعدة الاحتلال العسكري الغربي لبلاد العرب والمسلمين وهي في ذاتها تمثل ثقافتنا وما حاق بها نتيجة ذلك التبشير.

وفي كتابه هذا جمع ما يمكن أن نعتبره ثلاثة كتب وبضع مقالات، والكتاب الأول هو "**رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**" وهو بحق باب ومدخل لفهم ثقافتنا كيف وبمن كانت وكيف وبمن أصبحت وإلى أين ستصير وكيف يمكننا تداركها، والثاني هو "**كتاب المتنبي**" وهو كتاب كتبه شاكر بعد أن حثه صديقه فؤاد صروف صاحب مجلة المقتطف على كتابته احتفالا بمرور ألف عام على وفاة المتنبي وقد نشر في عدد كامل من مجلة المقتطف، والثالث هو "قضية

المتنبي" أو "**بيني وبين طه**" وهو مجموعة مقالات في الرد على طه حسين وكتابه "مع المتنبي"، نشرت تلك المقالات في صحيفة البلاغ ولكن لم يكتب لها الكمال، ثم تبعت هذه الكتب الثلاثة مجموعة مقالات لشاكر نشرت في مجلة الرسالة تحت عنوان "نبوة المتنبي" وفيها رد على مقالات للأستاذ سعيد الأفغاني، ثم كلمة الرافعي في مجلة الرسالة بعنوان "المقتطف والمتنبي" والتي علق فيها على عدد المقتطف الذي نشر فيه كتاب شاكر.

وسنقف سريعا عند بعضها:

**1 رسالة في الطريق إلى ثقافتنا...**

إن جميع كتابات محمود شاكر مترابطة لأنها كلها تدور حول محور واحد ألا وهو المنهج ذلك اللفظ الذي قلقل حياته وترك على إثره الجامعة لمّا لم يجد في مدّعي الثقافة والأدب وخاصة أستاذه "طه حسين" أي فهم أو تطبيق لهذه الكلمة إلا ما كان من دعاوى وزعم يزعمونه ليضللوا به طلابهم كما يقول، وهذه الرسالة كغيرها من مؤلفاته مبعثها هذا اللفظ لكنها لم تقتصر عليه، أما هي "هذه الرسالة" فقد سعى فيها إلى تحديد هويتنا الثقافية ببحثه عن المحور والأصل كل ثقافة ألا وهو الدين (الأصل الأخلاقي) واللغة.

ثم شرع في متابعة تاريخية لثقافتنا خاصة فيما يتعلق بالمؤثرات الخارجية عليها والتي تتمثل في الغزو، سواء كان حربيا رافقته مدخلات ثقافية جديدة، هذا فيما يتعلق بالعصور المتقدمة وقد جعل محورها الحملات الصليبية، أو ثقافيا والذي يحلو لشاكر دعوته بالتبشير الثقافي أسوة بالتبشير الديني الذي تميزت به العصور المتأخرة، وقد جعل شاكر هذا الغزو الأخير المحور الرئيسي في رسالته إذ إن تأثيره كان الأكبر والأدوم، ولم يغفل خلال توضيحه لهذا الغزو أو التبشير الثقافي عن توضيح مدى صغر الفارق بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية في بداية عصر النهضة الحديثة وكيف أن مفاتيح عصر النهضة كانت بيد المسلمين غير أنهم لم يحسنوا استخدامها وظفر بها الأوروبيون منهم ببعض من الحيل والسطو، وقد تناول كذلك الاستشراق مبينا أهدافه الخفية وكيف كان ذا أهمية ومنفعة كبيرة لأوروبا كما كان نقمة على العالم الإسلامي وهو في ذلك يتناول بعض كتابات المستشرقين.

وأما اللغة فهي لا تنفك عن الدين في بناء الثقافة لأن القرآن وهو أصل الدين هو كتاب عربي فكان الارتباط بينهما وثيقاً لا فكاك منه، ويبين شاكر كيف أن المستشرقين وأعمالهم لا ترقى أبدا إلى أن تكون ذات منهج فضلا عن أن تكون ذات منهج صحيح لا لمجرد غياب العنصر الأول وهو الدين ولكن لأن

هؤلاء المستشرقين غاب عنهم العنصر الثاني إلا قليلا مما تعلموه بمخالطتهم العرب الذين هم في ذاتهم في حكم الجاهلين بلغتهم، ولذا يكون حكمهم على النص العربي حكما غيرَ مقبول لأنهم لا يملكون مقومات الحكم عليه وهذا من آكد الأمور التي تخل بالمنهجية.

ثم هو بعد ذلك يسرد سردا تاريخيا ملخصا لحال الأمة منذ القرن الحادي عشر الهجري معرفا برجال النهضة الجبرتي الكبير والشوكاني والزبيدي والبغدادي، وموضحا تقارب الحضارتين الإسلامية والأوروبية في ذلك الحين، ثم يسرد تاريخ الاحتلال الأوروبي العسكري لمصر وكيف سعى إلى توطيد سطوته من خلال إلحاق الغزو الثقافي بالغزو العسكري وقد بين كيف هيأ الاستشراق لكلا الغزوين العسكري والثقافي خاصة فيما يتعلق بالحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت، ثم ما حدث من انشقاق محمد علي عن الخلافة العثمانية ومساهمته في التغريب الثقافي، بحثٍّ من القناصل الأوروبيين، عبر تسيير البعثات العلمية إلى أوروبا، وكيف مثلت هذه البعثات نواةً لتغريبٍ ثقافي أكبرَ يقوم على تنفيذه أبناءُ الأمة ممن شاركوا في تلك البعثات وعادوا منبهرين بالحضارة الأوروبية حسب رأيه، ثم ما لحق الاحتلال الفرنسي من احتلال إنكليزي والسيطرة

الإنكليزية على التعليم والبناء الثقافي للنشء ما أدى إلى تفريغ الطلبة من ماضيهم وهويتهم وانتمائهم.

## ديل كارنيكي "دع القلق وابدأ الحياة":

هذا الكتاب من أكثر الكتب تأثيراً علي، فقد قرأته أول مرة في مصر وأنا في تلك الفترة بالذات كنت أعاني من القلق، فكان مُعينا لي على تجاوز قدر كبير منه، وكان بالتالي رفيقي القريب مني دائما في حلي وترحالي، وقد اشتريت منه نسخا أهديتها للمقربين مني لِـما رأيت من فائدته في هذا المنحى وفي الحياة عموما.

تحدث المؤلف عن مدى تأثير المخاوف في مختلف المستويات الشخصية والتجارية على الفرد وكيف كانت سببًا في تطور مرض معين كان يمكن تجنبُه. يروي العديد من الأمثلة عن كيفية تمكن الناس، عندما يكونون في أوضاع عصيبة، بعضها لا يمكن تصوره، من التغلب على بؤسهم وتحويل حالتهم السلبية إلى حالة إيجابية.

وما زلت أطالعه كل فترة وفترة، فبعض الكتب دائم الخضرة كلما قمت بفتح صفحاته، تجد شيئًا جديدًا. وهذا الكتاب مهّد الطريق لملايين الأشخاص ليعيشوا حياة سعيدة. بسبب أساليب كتابته. إنه يجعل كل شيء مفهوما وواضحًا. لغته سهلة للغاية والشرح واضح ومفصل.

وهذه بعض النقاط التي أراها جديرة بالذكر من الكتاب:

- يجب أن نكون مشغولين بشكل أكبر بالشيء الذي يمكننا القيام به، حتى لا نضيع أي وقت. يجب علينا اختيار الأشياء ذات الأولوية للقيام بها والمضي قدما.

- يجب أن نساعد من يحتاجون إلينا ونعرب عن امتناننا كلما سنحت الفرصة، لأن ذلك يزيد من رضانا عن الحياة.

وعند قراءة الكتاب، ندرك عدم جدوى تضييع وقتنا الثمين في القلق على أي شيء، لأن ما يمكننا التحكم فيه هو ما يجب أن نقوم فيه بكل ما في استطاعتنا وما لا نستطيع يجب أن نتركه.

- إذا استطعنا أن نتعلم الاستمتاع بالأشياء الصغيرة التي تسبب الملل للبعض، فسنكون قادرين على العيش حياة أكثر اكتمالا بعيدا عن القلق والإرهاق وربما نتعثر بشيء جميل غير متوقع.

وعموما يُعد كتاب "دع القلق وابدأ الحياة" تحفة ونادرة في هذا المجال البكر والمهم جدا لحياة الناس. لقد شرح المؤلف بعض الخطوات العملية لتوضيح كيف يمكن لأي شخص أن يصبح شخصًا خاليا من الخوف والقلق. هذا يعتمد كليا على ما إذا كنا نريد العيش بسعادة أو نريد أن نكون قلقين.

بالطبع، هناك خطوات معينة خاصة بكل حالة على حدة في عملية تحقيق حياة خالية من القلق. لكن الأساسيات هي نفسها في كل وقت. وقد عكس المؤلف تلك الأساسيات بطريقة واضحة.

## النّجيب:

تعرفت إلى الكاتب المصري الكبير نجيب محفوظ عبر ثلاثيته الشهيرة، بين القصرين، قصر الشوق والسكرية، وقد أعجبتني أيما إعجاب، بعد ذلك اقتنيت أغلب أعماله وكانت في طبعات صغيرة ورخيصة تناسب طالباً في مثل ظروفي، ورغم أنني جئت مصر وهو فيها إلا أنني للأسف لم ألقه، ومن أفضل أعماله عندي ملحمة الحرافيش، حيث الحياة والتاريخ بكل تحولاتهما وتناقضاتهما، وهي من أشهر أعماله المتداولة، وتستحق دراسة لها وحدها، وكذلك روايات، خان الخليلي، اللص والكلاب، زقاق المدق، بداية ونهاية..

لكنني سأقف هنا فقط عند بعض الروايات الأقل شهرة والأكثر عمقا حسب رأيي.

### حضرة المحترم

أحببت هذه الرواية البديعة لنجيب محفوظ وأحببت تعبيراتها التي أراها شِعريةً أكثر من كونها سردية روائية، وسأورد هنا منها اقتباسات للتدليل على ذلك، إن

نجيب يقدم لك حياة موظف حكومي رأى في الوظيفة كلَّ الحياة، فانغمس فيها بكل ذاته مهملا كل جوانب الحياة الأخرى حتى الجانب الإنساني وما بداخله من مشاعر مختلفة.

أهمل أعوام حياته ورأى أن هذه السنين وُجدت لتضيع في الوظيفة وأن المال وُجد ليكنز.

قضى كل عمره حالِـما بمنصب أتاه وهو على فراش الموت ليخرج صفر اليدين من الدنيا بلا عائلة ولا أصدقاء.

في الرواية تعريف مجمل بالنظام الحكومي العتيق في المجتمع المصري ما قبل ثورة 52 والذي لم يتغير كثيراً بعد الثورة ومن عاش في مصر يدرك مشكلة البيروقراطية.

وعثمان بيومي، رجل فقير لا يعيش معه أفراد من العائلة، يبدأ العمل كبيروقراطي في الدرجة الثامنة في قسم الأرشيف أو المحفوظات في إحدى الوزارات. كان لديه هدفٌ سامٍ هو أن يصبح يوما ما المديرَ العام. وهو يتسلق مستويات الدرجات في البيروقراطية بحماس منقطع النظير تقريبًا، عن طريق أخذ فصول تعليمية، والعمل لساعات إضافية، وأداء مهام الترجمة، ومجاملة

وحتى تملق الأشخاص الذين هم في المناصب العليا. ساعده ذكاؤه وأخلاقياته في العمل وسحرُه على تسلق سلّم الحكومة.

خلال حياته المهنية، يرفض عثمان مرتين الزواج من نساء يحببنه لأنه يريد زوجة ذات خلفية مفيدة قد تساعده في الفوز بمنصب أعلى في العمل. إنه لا يخصص الوقت لأي شخص يريد أن يصادقه، ويحفظ كل أمواله. تدور حياة عثمان حول طموحه، ويتخلى عن فرصه في الحب الحقيقي والأسرة. إنه في الحقيقة لا يستمتع برحلة الحياة لأن سرور النجاح يتلاشى مباشرة بعد كل مرة يحصل فيها على منصب أعلى أو ترقية.

عثمان شخصية مثيرة للاهتمام، تناوبتُ بين الشعور بالتعاطف معه، والرغبة في إلقاء شيء عليه لإيقاظه للحياة وإخباره أن المال ليس كل شيء وأن الحياة في الأسرة والأصدقاء أهم من كل شيء.

رواية تستحق القراءة وقد قرأتها شخصيا مرات لأخذ العبرة، وللمتعة الفنية أيضا.

**الشحاذ:**

بحثٌ عن السلام الداخلي! هل هو في العائلة، في الأصدقاء، في الوظيفة، في الثروة! لماذا يميل الناس إلى البحث عن الأشياء التي ليست لديهم، بينما لديهم كل شيء آخر تقريبًا!

عندما يكون لدى شخص ما عائلة، أو أصدقاء مقربين، أو وظيفة جيدة، أو ثروات، لكنه ما يزال غير سعيد، ما يزال يتعذر عليه أن يجد قيمة خاصة به، وهدفا في الحياة، ولذلك يعيش في بؤس، تخيل أن رجلاً ناجحًا يقرر فجأة أن يدمر حياته ببطء، ويفككها، ربما بسبب شهوة أو حسد.

وجد السيد عمر نفسه في أرض قاحلة مهجورة مليئة بالألوان، أصبحت الآن قاتمة، بلا حياة، وذلك بفعل قلقه الوجودي. بفعل السؤال الذي غزا منذ فترة طويلة العديد من النفوس على مر السنين، وأرسلهم إلى طريق القلق الوجودي المزمن، والاكتئاب المزمن. السؤال الذي لا مثيل له؛ في الواقع، إنه سؤال كل الأسئلة. وهو هل هناك معنى للحياة؟ سؤال مدمر يصيب هذا الشاعر السابق، ليجعله يغادر مكتبَ المحاماة، وابنتيه، وأقربَ أصدقائه، والحياةَ في نهاية المطاف، للذهاب إلى الله. في انتظار اللحظة الذهبية لرؤية الحقيقة تظهر من الفراغ.

السيد عمر يسعى لإيجاد علاج للقلق الوجودي، وفشل فشلاً ذريعًا في العثور على الأشخاص الذين يعتز بهم أكثر من غيرهم وإذا بهم يجدون أنفسهم في بؤس سخيف جدا وغير ذي صلة بكل ما تدور حوله الحياة حقا.

الرواية من الروايات الفلسفية التأملية حسب رأيي وسأورد اقتباسات بقيت معي منها:

ألا تخاف الوحشة في الخلاء؟ -أرهقتني الوحشة في الزحام.

الدواء الحقيقي بيدك أنت وحدك. لعل سر شقائي أنني أبحث عن معادلة بلا تأهيل علمي.

ولأنه لا يوجد وحي في عصرنا فلم يبق لأمثالك إلا التسول، التسول! في الليل والنهار... في القراءة المجدبة والشعر العقيم.. في الصلوات الوثنية في باحات الملاهي الليلية. في تحريك القلب الأصم بأشواك المغامرات الجهنمية.

## قلب الليل:

الرواية هي مثل سابقتها عمل فلسفي رائع عن حياة الإنسان، من الصِغر حتى الكِبر، مراحل حياة جعفر الراوي، تبدأ من النشأة الدينية صغيرًا، ثم مرحلة الجنون والسعي وراء القلب والشهوة، ثم مرحلة النضج والإيمان الكامل بالعقل، ثم مرحلة الحقيقة أو كما دعاها المأساة.

يتخبط جعفر في هذه المراحل سعيًا وراء المجهول..

أفضلها من حيث الفكر مرحلة ما بعد الزواج والنضج، وفي هذه المرحلة آمن جعفر بأن العقل فقط هو المتحكم في الإنسان وألّا مجال للقلب للتحكم به، هذه الفترة التي يسعى فيها لفهم الإله، حيث لا يهديه عقله ولكنه بعد الكثير من البحث والتفكير وحين يسأل عمّا توصل له بعد عمر طويل، يتنهد ويقول: "إني عاجز عن الكفر بالله".

وحينما أراد أن يعرف أكثر عن السياسة وعن كل هذه المذاهب، لم ينل أيٌّ منها إعجابَه، لكنه توصل لمذهب مختلف، مذهبٍ كتبه متحديًا اليسارَ واليمين معًا.. لكن المأساة تحدث عندها، أو هي الحقيقة، في أن المشاعر هي المسيطرة بشكل كبير على الإنسان، حتى لو وصل لأقصى درجة من النضج فلن يستطيع الاعتماد على عقله فقط، العقل وحده ليس بقادر على إدراك الإله، العقل وحده يجعل الإنسان باردًا.. الحقيقة في أن الإنسان لن يصل للكمال مهما كان عقله فذًا.

وسأورد منها اقتباسات مثل: حقاً كانت توجد لحظات خائنة حتى في أيام السعادة الخالصة... ولكن ما هي اللحظات الخائنة؟ هي اللحظة التي تنفصل فيها عن تيار حياتك فتقف على ربوة فوق الشاطئ لتراقبه بدهشة. في تلك

اللحظة كنت أشعر بأن ثمة شخصاً قد ضحك علي، قد جرعني مقلباً.. وأسألُ نفسي عما حدث.

نحن نتكلم عن القلب كنبع للإيمان، ولكن تذكر أن الله لم يعبده إلا الإنسان العاقل، فالواقع هو أساس الإيمان، ولكن عجزه النسبي عن إدراكه - مع حرصه عليه - جعله يرجع الإيمان به إلى عضو آخر هروبا من التناقض.

ماذا حدث يا جعفر؟ - فالتفت نحوي قائلا: -إني أتساءل أيضا عما حدث!

## الغريب:

قرأت من الأدب الفرنسي بعض الروايات كانت أولاها رواية لفولتير ترجمة طه حسين وكان عنوانها la destinée أو "القَدَر"، وكانت شرقية الهوى، وفيها تناص كثير مع حكايات الشرق وكذلك مع القصص الديني، ومن أهم الأعمال التي قرأت في الأدب الفرنسي كتاب **ما الأدب؟** لسارتر طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهو يتناول الأدب والالتزام الأدبي وربما أعود له بشيء من التفصيل في مقال آخر بحول الله، والكتاب الذي أود التركيز عليه هنا هو رواية الغريب لألبير كامي، الرواية مكتوبة ببساطة وتمكن قراءتها سريعاً إلى حد ما، ولكن العمق الذي تمكن كامي من نقله بهذه البساطة أمر مذهل. أعتقد أن المشكلة التي يواجهها الكثير من الناس في هذا الكتاب هي أنهم يفشلون في

النظر إلى ما وراء رسالة "**ما معنى الحياة**" بأكملها. ومع أن هذا السؤال مثير للاهتمام، إلا أن الرواية تثير الكثير من الأسئلة الفلسفية الأخرى. ما وجدته أكثر إثارة للاهتمام هو "ما هو تعريف البشرية حقًا أو ما الذي يجعل الإنسان إنسانًا؟" أثناء محاكمة الشخصية الرئيسية في الرواية Meursault يُتهم باستمرار بعدم إظهار الندم وبالتالي بكونه باردًا وغير إنساني. إنه بالتأكيد إنسان، لكنه منفصل تمامًا عن العالم الواقعي الطبيعي. وهذا يطرح السؤال حول ما إذا كان ينبغي علينا اتباع سلوك أو تصرفات معينة في بعض المواقف "للحفاظ على إنسانيتنا".

كما أنه يثير مسألة ما إذا كانت بعض عواطفنا تأتي من قِبل أنفسنا أو من توقعات الآخرين لبعض العواطف في موقف معين مثلا. الرواية هي أيضاً لائحة اتهام لجهود الناس من أجل التحكم في حياة الآخرين. يقال لنا باستمرار ما هو صواب وكوسيلة لتبرير شعورنا الخاص بـ "ماذا يعني أن تكون إنسانًا". غالبًا ما نفرض تصوراتنا هذه على الآخرين، ونتوقع منهم أن يحققوا صفات وخصائص مماثلة، كما تم فرضها بالفعل علينا. إنها بطريقة ما تبرير ذاتي لأعمالنا على أنها حق أو "إنسانية". يُقال لـ Meursault إنه يجب عليه أن يعيش و / أو يتصرف بطريقة معينة، سواء كان ذلك بواسطة القاضي أو محاميه أو الكاهن. بمجرد عدم

امتثاله لهذه الأوامر، يتم تهميشه ويطلق عليه "اللاإنساني"؛ وهذه حسب المؤلف محاولة من جانب الآخرين لعقلنة طرق حياتهم وفهمهم لها. إذا تمكنوا من توضيح أنه "غير إنساني"، فهذا يسمح لهم بأن يطلقوا على أنفسهم اسم الإنسان وأن يبرروا أساليب حياتهم الخاصة.

في النهاية، هذا الكتاب يثير الكثير من الأسئلة أكثر مما يجيب، لكن بطريقة فلسفية حقيقية.

## قصة مدينتين A tale of two cities

قرأت من الأدب الإنكليزي أقل مما قرأت في الأدب الإسباني والروسي مثلا، لكنني قرأت ترجمات لمعظم أعمال شكسبير وديكنز، كما قرأت روايةً، وما زالت في مكتبتي، اسمها **عالم جديد رائع**، كانت ممتعة وسهلة القراء، وسأتناول هنا رواية ديكنز "قصة مدينتين"

وهي رواية تاريخية. يحكي ديكنز قصة اقتحام الباستيل، بعد حوالي خمسين عامًا من حدوثها. على عكس معظم أعماله، فلا أثر هنا في هذه الرواية للفكاهة. لا توجد رسوم كاريكاتورية ولا غرابة في كتاباته. هذه كلها مادة جدية للغاية، وربما يجب أن تكون كذلك. لكن بالنسبة لي، هذا هو أفضل ما فعله ديكنز. إن قدرته على التوفيق بين موضوعات المعاناة الإنسانية والفقر

والحرمان بأفكار سخيفة ومثيرة للسخرية، وفي بعض الأحيان مجنونة، هي من أقوى مميزات هذا الكاتب العظيم حسب رأيي.

وكما يوحي اسم الكتاب، هذه قصة عن مدينتين: لندن وباريس. أحب ديكنز انتقاد المجتمع، وجميع الفروق الدقيقة الأرستقراطية الغبية. كما بذل جهدا كبيرا لإظهار أن لندن ليست رمزا للكمال المجتمعي. بعد الثورة الفرنسية البريطانيون لم يتمكنوا من تصديق أن أنظمة الحكم الحالية يمكن أن تسبب مثل هذه المهزلة. ويُظهر ديكنز أن الرجال الموجودين في السلطة كانوا فاسدين وقابلين للفساد أينما كانوا، ويمكن أن تحدث الثورة مرة أخرى.

الرواية جميلة وتؤرخ لحقبة مهمة والأكثر أهمية هي الأفكار التي تخرج بها من الرواية عن الحرية والثورة والظلم والغبن الاجتماعي..

## تشيخوف والأدب الروسي:

قرأتُ لديستويفسكي **الجريمة والعقاب** بطبعة مترجمة ومختصرة، كما قرأت له **الصرصار** و**الأبله**، وكلها روايات بهرتني وجعلتني أبحث أكثر في الأدب الروسي ذي المسحة الواقعية والفلسفية أيضا، فتعثرت برواية **الحرب والسلام** لتولستوي وللأمانة لم أكملها ولم تعجبني كثيرا بصراحة ربما لأنني توقعت منها كثيرا جدا لكثرة ما سمعت من ثناء عليها، ولشغفي في تلك الفترة بالأدب الروسي.

ولكن الروائي تشيخوف صراحة أعجبني غاية، فعندما أقرأ تشيكوف أشعر أنني أقرأ لصوفي وليس لمؤلف قصص قصيرة أو مسرحيات فهو يلمس أعماقك بكل تأكيد بروعة وبساطة في التعبير، أذكر كم كانت سعادتي حينما حصلت على مجموعة مختارة له طبعتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بترجمة القصاص، وكان السعر مناسبا جدا، تحت عنوان مختارات تشيخوف. فالتهمت ذلك المجلد كاملا في أقل من أسبوع واحد فقط.

وفي روايات وقصص الكاتب الروسي تشيخوف الكثير من الواقعية، ولكنها واقعية مغرية في نفس الوقت، فأنت غالباً تقرأ شخصياتٍ تظن أنك تعرفها شخصياً لشدة ارتباطها بالواقع وبخلجات النفس البشرية، وأظن أن هذا هو سر انتشاره وخروجه من محيط الثقافة الروسية إلى تعبيره عن الثقافة الإنسانية عموما، وهذا هو الأدب الخالد، الذي يعبر عن الإنسان في كفاحه المستمر.

وقد قرأتُ مرةً أن إحدى قصص تشيخوف تحققت في الواقع صدفة، مع بعض التغييرات الطفيفة بين القصة والواقع!

ولعل حياة الرجل الشخصية وظروفه الصعبة هي التي عجنت وصقلت وعمّقت موهبته، ومنذ أن قرأتُ له أول مجموعة قصصية صغيرة وأنا مأخوذ بأسلوب تناوله للشخصيات وسبره أغوارَ النفس البشرية..

من أقواله الشهيرة: «إن الكلمات مهما كانت جميلة لا تؤثر إلا في ذوي النفوس اللامبالية. ولا نستطيع دائماً أن نرضي السعداء أو التعساء.. ويبدو أسمى تعبير عن السعادة أو التعاسة هو الصمت، فالعشاق يفهمون بعضهم بعضاً عندما يصمتون».

عندما تقرأ تشيكوف تعرف معنى الموهبة ومعنى النقاء الذي يجعل كلماتك وكأنها تعزف لحنا حزينا يصف ما يعانيه البشر على أيدي بعضهم وربما مهنته كطبيب لعبت دورا في ذلك.

تكثيف الكلمة والمعنى في القصة القصيرة لتحكي وتقول ما يحتاج إلى عشرات بل ربما مئات الصفحات واختيار تشيكوف لذلك النوع من الأدب يؤكد ما قاله عنه الرائع جوركى حول محاربته للابتذال فهو ربما كتب صفحتين" **البدين والنحيف**" كمثال فيترك انطباعا لديك ربما لا تتركه رواية تسهر عليها شهرا لتنهيها.

لهذا الكاتب لغة عميقة جميلة معبرة، وقد وُفق المترجم كثيرا في نقلها حسب رأيي..

وفي قصة **العنبر رقم 6** تحديدا معانٍ جميلةٌ وواقعية جدا رغم غرائبيتها..

فقد عرض فيها الكاتب ما يعانيه المرضى النفسيون وما يخبَّأ لهم خلف أسوار تلك المستشفيات خاصة في تلك الحقبة بما تحتويه من خصوصية مجحفة وكتمان وقصور في المعرفة لمن يعانون من هذه الأمراض.

ثم صور لنا الدكتور والطاقم الطبي عندما يكونون مجرمين بزي أطباء!

البطل " أندريه يفيمييتش" وشخصيات أخرى ميخائيل أفيريانيتش وخوبوتوف والمجنون العاقل إيفان دميتريتش وغيرهم شكلوا حبكة فيها قليل من المصير الغامض للبطل وعن فلسفة الحياة كل بحسب ما يراه لتختتم القصة بمشهد من البرود والقسوة والغلظة.

وأخيرا نقتبس ما قاله أندريه يفيمييتش مستنكرا الرغبة في تخفيف الآلام:

" وما الداعي لتخفيفها؟ فأولا: يقال إن الآلام تفضي بالإنسان إلى الكمال، وثانيا: لو أن البشرية تعلمت بالفعل أن تخفف آلامها بالحبوب والقطرات، فسوف تهجر تماما الدين والفلسفة، اللذين وجدت فيهما حتى الآن لا مجرد الحماية من شتى المصائب فقط بل السعادة كذلك".

الخلاصة أن الكتاب رائع جدا وواقعي ... أرجع إليه دوما من حين لآخر في مكتبتي.

**زوربا اليوناني:**

هذه رواية من الروايات ذات الأبعاد الفلسفية التي تجعلنا نعيد تقييم حياتنا نظرا لأنها تقدم لنا نموذجين مختلفين جدا، باسيل المثقف الثري الراغب في استثمار أمواله، وألكسيس زوربا الرجل الأمي الذي عجن ثقافته بطين التجارب والأسفار وهي الثقافة التي أتاحت له أن يكوّن موقفا مختلفا من الحياة قوامه صون إنسانيته من كل التهديدات يقول: "تخلصتُ من الوطن، تخلصت من الكاهن، تخلصت من الماء. إنني أغربل نفسي. كلما تقدم بي العمر غربلت نفسي أكثر. إنني أتطهر. كيف أقول لك؟ إنني أتحرر، إنني أصبح إِنسانا".

وبين الشخصيتين تتجلى طريقتان للعيش، بين المثقف المنطوي وبين العجوز المرح الذي يعيش الحياة ويتمتع بها لأقصى حد ممكن دون قلق ولا تفكير عميق..

أما أسلوب الكاتب فهو الدافع الرئيسي التي يجرك خلال الصفحات طوعًا، في "زوربا اليوناني" تجد "نيكوس كازانتزاكيس" يبدع في الوصف والتشبيهات فالألوان تلطخ وجهك وتعلق الروائح في راحتيك. تشبيهاته، اقتباساته، طريقته الأخّاذة في الشرح، ولا أستثني قدرة المترجم الرائعة على توصيل هذا الإبداع ووضعه في قالب عربي دون أن يختل.

فلسفة الكاتب رائعة، ففي هذه الرواية يحكي عن اللذة والمتعة والألم إلى جانب الحياة والموت، ويغوص في تلافيف العقل الإنساني ويطرح الأسئلة على الطاولة بكل جرأة. كما يتطرق إلى الصفات الإنسانية كالتعود ويوجِد لها حلولًا.

هذه الرواية باختصار: تساعدك على أن تكبر.

**الخيميائي:**

إن رحلة سانتياغو وسعيه الروحي، والأشخاص الذين يلتقي بهم، والأحلام التي يحملها، والطوالع التي يواجهها، والطبيعة التي يتحدث بها، كلها أمور يمكننا أن نفهمها ونتفهمها.. الأمر كله يتعلق بالعثور على الأسطورة الشخصية ومتابعة حلمك بغض النظر عن أي عقبات، وعن كونك مرتبطًا روحانيًا بالكون، الذي هو جزء منا ففي الأخير كلنا واحد.

إن قراءة هذا الكتاب تعيدنا إلى الطريق الصحيح نحو تحقيق الأحلام التي عَلَّقناها. نحاول دائمًا أن نفعل ما يتوقعه الجميع منا مثل ممارسة مهنة نكرهها لمجرد أن هذا ما يفعله الجميع.

هناك أشياء كثيرة يمكن للمرء أن يتعلمها من "الخيميائي" مثل المخاطرة بمتابعة أحلامك، وهو أمر صعب للغاية في الواقع، وهناك عدد قليل جدًا من الناس في هذا العالم يقومون بذلك، ويعني هنا المخاطرة بكل شيء، لمجرد

متابعة قلبك وحلمك. الجميل هو أن المؤلف محق في القول إنه عندما تقرر اتباع أحلامك، فإن الكون بأكمله يتآمر لصالحك وربما هذا هو ما يطلق عليه "حظ المبتدئين" وقد شهدنا جميعًا حظ المبتدئين في نقطة أو أخرى من حياتنا. كما يتحدث عن مرحلة في رحلتنا نحو تحقيق أحلامنا، ويأخذنا من شفا التخلي عن كل شيء والعودة إلى ما كان مألوفًا ومريحًا (أي حياتنا اليومية المعتادة التي اعتدنا عليها) هذا في الواقع هو الوقت الذي يتم فيه اختبارنا لمرة واحدة أخيرة وهذا يعني أيضًا أننا قريبون جدًا من هدفنا. كان المثال المقدم رائعًا حقًا، وليس شيئا جديدا، لكننا ننسى أشياء بسيطة في حياتنا مثل كون "أحلك ساعة في الليل هي الساعة التي قبل الفجر".

صحيح في الواقع أن الكثير منا يغادرون النضال عندما يصبح قاسيًا جدًا والتوقعات منخفضة جدًا، في حين أننا نكون في الواقع قريبين جدًا من الهدف، لو كنا نتحلى بصبر أكبر لوصلنا إلى الهدف.

في هذا الكتاب أيضا يتناول المؤلف كويلهو مسألة الموت والخوف منه، رغم حتميته، ويتناول كيف نجعله رفيقا أو صديقا لنا لأنه لا بد آت، حيث يقول "إذا كان عليّ أن أقاتل، فسيكون يومًا جيدًا أن أموت مثل أي شخص آخر".

فلا أحد يعرف أبدًا متى يستيقظ في الصباح ويكون ذلك هو آخر يوم في حياته، وفي الواقع، فلن يكون هذا اليوم مختلفًا عن الأيام الأخرى التي عاشها حسب المؤلف. فلماذا لا نعامل كل يوم كما نعامل أي يوم من حياتنا ونعيشه. والموت لا يبحث عن أسباب، ويمكن أن ينبعث من أي شيء تافه وصغير. ويمكن أن يكون كُلُّ يوم آخرَ يوم في حياتنا.

الرواية فيها الكثير من التأثُّر حسب رأيي بالمشرق وفهمه للحياة، وهي من الناحية الأدبية الفنية رواية خفيفة لا تتطلب جهدا كبيرا في القراءة لكنها تفتح أبوابا للتأمل في الحياة وأهدافها وأحلامها وخيباتها.

## عبد الرحمن مُنيف:

قرأت لهذا الكاتب **مدن الملح** (فقط الجزئين الأوليَيْن) ورواية "**الأشجار ومقتل مرزوق**" ورواية "**شرق المتوسط**"، وقد أعجبني جدا بقدرته الفائقة في المجال السردي، فهذا الكاتب بارع حقا، وهو إلى ذلك صاحب رسالة توعوية كبيرة. وطالما كان هاجساً لمنيف أن يخلق وعيا وذائقة عند القارئ العربي وبالتالي جعله أكثر إنسانية في محاربة الظلم ومقاومة السائد والتشكيك بالكلمة المزيفة. وهذا ما حاول أن يتحدث عنه في أغلب أعماله.

في روايته "مدن الملح" ، التي تدور أحداثها في بلد لم يكشف عن اسمه -

يُفترض أنه المملكة العربية السعودية ؛ من المحتمل أن يكون ميناء حران الخليجي، وهو المسرح الأساسي للرواية، ويمتد لفترة غير محددة من الزمن، يتم خلالها اكتشاف النفط وتحول أسلوب الحياة المحلي بالكامل. المكان نفسه هو بطل الرواية الحقيقي؛ الشخصيات رجال بل إن النساء غائبات تقريبا في الرواية.. يرسم الكتاب اللحظات الأساسية وآثار التغيير على المجتمع ككل، مع سرد يبدو أحيانًا غير متجانس.

ومع ذلك يحافظ الكتاب على زخم سردي معين. استغرق الأمر حوالي نصف الرواية بالنسبة لي لأعتاد على إيقاعها، فالرواية ذات طريقة سرد قصصي أكثر صعوبة ولكنها أكثر وجاهة أيضًا.

وأنا سعيد لأنني قرأت هذا الكتاب، بروايته البانورامية ورؤيته لتأثيرات الاقتصاد النفطي على الطريقة التقليدية للحياة. وهذه الرواية مجردة نسبيا. تتكون أكثر من المشاعر والشائعات وردود الفعل. وهناك قدر كبير من التكرار، لأن هذا ما كانت عليه الحياة.

وخصائص قلم منيف الرائع نراها في الروايتين الأخريين، وأعتقد أن قراءة منيف مهمة جدا لفهم الشرق الأوسط وتحولاته، وفهم كثير من الظواهر الموجودة حتى اليوم.

## مع نزار قباني:

تعرفت على نزار قباني وأنا طالب في الثانوية، وقد فُتنت بشعره أيما افتتان، فقد كان شيئا جديدا لم آلفه في الشعر القديم، طرق جديدة للتعبير، أساليب مبتكرة، تجنيح كبير، كل هذا في قالب موسيقي مطرب غفرَ له زلاتِه اللغويةَ التي غالبا تفسد عليّ متعةَ النصوص، وكانت دواوينه خارج متناولي لأسباب مادية وكذلك لعدم توفرها أيضا في البلد، وفي مصر تمكنت من الحصول على دواوينه الصغيرة، التي كانت تباع عند باعة الأرصفة في طبعات شعبية رخيصة، وأتذكر أنني في يوم بارد ماطر من شتاء الإسكندرية وكانت منحتُنا كطلاب متأخرةً جدا والنقود شحيحة، وكانت عندي عشرة جنيهات لشراء وجبة الغداء، لكنني صادفتُ ديوان "**هل تسمعين صهيل أحزاني**" فلم أتمالك نفسي واشتريته واكتفيت ذلك اليوم بوجبة الفول بالعيش البلدي ولم أندم على ذلك الاختيار رغم أن صديقا كان معي تعجب جدا.

بعد ذلك اشتريت أعماله الكاملة، وبعض كتبه النثرية مثل:

"**قصتي مع الشعر**" وهو كتاب في سيرته الذاتية، و"**شيء من النثر**" وهو مجموعة مقالات سياسية كتبها في السبعينيات، وكذلك "**لعبت بإتقان وهذه مفاتيحي**" وهو عبارة عن مجموعة مختارة من مقابلاته مع الإعلام..

عموما وباختصار كان نزار أول احتكاك مباشر لي مع مدرسة الشعر الحر، وقد تراجع اهتمامي به بعد ذلك لكنني أعترف له ببعض القصائد الجميلة جدا وبالتأثير الكبير في الشعر العربي المعاصر.

## غارسيا ماركيز، اللندي، غالا وآخرون:

للأدب الإسباني نكهته الخاصة وأعني هنا الأدب المكتوب باللغة الإسبانية، وقد بهرتني تقنياته السردية، وقد تناولت رواية الخيميائي لباولو كويلهو بشيء من التفصيل، وإن كانت أعمال غارسيا هي الأجود في نظري وكذلك اللندي التي لم أقرأ لها حتى الآن سوى رواية "**حصيلة الأيام**"، وقد أعطتني انطباعا بأن هذه الكاتبة تستحق أن تشتري رواياتها دون تردد مثل الماركات المسجلة، أما غالا فقرأت له رواية "**المخطوط القرمزي**"، سميت الرواية بالمخطوط القرمزي لأن أبا عبد الله الصغير كتب روايته على أوراق قرمزية ويقول غالا إنه عُثر على هذه الأوراق مدفونة في فاس وهي المدينة الأخيرة التي استقر فيها ومات فيها وعلى أساسها روى سيرة حياته.

في الرواية تأملات ملك مهزوم سلَّم آخرِ معاقل المسلمين في الأندلس وهي مملكة غرناطة إلى يد القشتاليين بعد سلسلة من المؤامرات والدسائس بين الممالك الإسبانية حتى لقيت المملكة حتفها بعد حصار الإسبان.

الرواية تقدم الفرصة لأبي عبد الله الصغير ليدافع عن نفسه إزاء سقوط مملكة استمرت قرونا تدافع عن الحضارة الإسلامية ويفند المزاعم التي أدانته بالخيانة فيضع الأسباب والمبررات والمكائد والهزائم التي أدت شيئا فشيئا إلى اتخاذه مثل هذا القرار الصعب. الرواية أيضا تأخذك إلى تلك الأجواء الأندلسية في المسجد الجامع وإلى قصر الحمراء لتضيع فيها بين زفرات الملك المهزوم الذي عاش في المنفى أكثر مما عاش ملكا، هذه رواية تحمل طابعا ذا شجن وتفتح أمامك خبايا نفس هذا الملك.

لو أن المنهزمين يكتبون التاريخ كما فعلتَ بهذه الدرجة من المصداقية والشفافية والدقة اللامتناهية لأوكلنا لهم المهمةَ دونما تردد ولربما عندئذ نتيقن أننا قد قبضنا على الحقيقة..

ولكن التاريخ لا تكتبه سوى أوهام المنهزمين وأكاذيب المنتصرين.. لعبة مضللة تكشف أوراقها أو تخفيها كما تشاء..

شهادتك جاءت متدفقة متراكمة منسقة لم تكن مدحا ولا تعليلا لهزيمتك ولا تبريرا لضعفك وخسارتك الفادحة..

التاريخ يلقي على كاهلك مسؤولية سقوط بلاد الأندلس ولكن أنت أوكلت إليك مهمة لم تخلق لها.. أجل أنت كان يكفيك أن تنظم الشعر وتختال بالبساتين وترتكب الحماقات وكفى..

أنت ضحية ورطة ملعونة تضافرت فيها الخيانات والخدائع ورجال باعوا أنفسهم بالمال.

عبد الله الصغير لم يكن وحده سببا في الخسارة، لقد كان يخاف أن يكون الخاسر الأعظم الذي بخسارته يخسر الجميع، وللأسف قد كان..

طُعّمت الرواية بالعديد من القصائد لجلال الدين الرومي، الرضيّ، ابن عربي وغيرهم ما ساهم في إشعال فتيل الروح الشرقية بين طياتها.

غالا يكتب بتفاصيل كثيرة جدا ودقيقة لا تخلو من لغة عذبة سلسة ومشوقة، يكفيه أنه أرّخ لحضارة الأندلس ومجدها العظيم، وأخيرا من منا لا يبكي الفردوس المفقود؟.